التوجيهات الجذرية

لانتصار ثورة أهل الديار الشامية

للأخ

أبي عقبة المهاجر

حفظه الله



مؤسسة الماسدة الإعلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة المأسدة الإعلامية

تقدم

التوجيهات الجذرية

لانتصار ثورة أهل الديار الشامية

للأخ / أبي عقبة المهاجر (حفظه الله)

١٤٣٣ هـ | ٢٠١٢ م

مقدمة مؤسسة المأسدة الإعلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد

فإن الله تعالى اختار هذه الأمة الخاتمة لتكون مثل نبيها ورسولها النبي الخاتم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، اختارها لتكون شاهدة على الأمم، وقائدة لها ورائدة نحو السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة { فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور}.

ولماَّ كان لكل نجاح شروط وأسباب ولكل عمل مقدمات ومسببات، فإنه من باب أولى أن تكون لهذه المهمة الثقيلة والشاقة – وهي حمل أمانة التبليغ وهداية العالمين – شروطاً ومسببات لابد من الأخذ بها على أتم وأحسن وجه ليتحقق النجاح بإذن الله.

وهناك سنن ربانية لابد من الأخذ بها، وهي ما يُعرف بالسنن القدرية إلى جانب السنن الشرعية التي تتمثل في الخضوع لأوامر الله جل وعلا، وإذا ما توافقت هذه السنن الشرعية مع السنن القدرية تحقق قدر الله تعالى وتمَّ أمره سبحانه.

والمسلمون مطالبون اليوم بالعودة إلى دينهم الحق لكي يستقوا منه هذه الأسباب ويتخذوه وسيلة لتحقيق مهمتهم العظمى في هذه الحياة الدنيا، ولا قيمة لعمل بدون تخطيط وهو داخل في شروط التوكل على الله كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم : " إعقلها وتوكل"، فالتخطيط والتنظيم وفقه الواقع وفقه السنن الربانية كل هذا يدخل ضمن الأخذ بالأسباب قبل تنفيذ العمل.

والاندفاع حتى لو كان صاحبه مخلصاً لن ينفع شيئاً ما لم يقترن بالعلم والتخطيط ودراسة الواقع أولاً، وقد تلقى المسلمون الكثير من الهزائم ووقعوا في العديد من الأخطاء والكوارث بسبب إغفالهم لجانب السنن والأخذ بالأسباب إضافة إلى تشويه مفهوم التوكل على الله.

وبين يدي القارئ الكريم، كتاب لأخينا الفاضل " أبو عقبة المهاجر" – ثبته الله وحفظه– ، يبين مفهوم الأمة ودورها في الإسلام ويسلط الأضواء على الآليات والوسائل الواجب التسلح بها لأداء مهامها الشرعية على أحسن وجه .

كما صحح الكثير من المفاهيم وأصَّل لها من كتاب الله تعالى لتكون منطلقاً نحو ترسيخها في نفوس المسلمين عامة ونفوس العاملين خاصة لكي يترجمونه واقعاً في مجتمعاتنا الإسلامية التي ستكون الخلافة الإسلامية القادمة مظلتها العامة بحول الله.

كتاب" التوجيهات الجذرية لانتصار ثورة أهل الديار الشامية" لا يقتصر عن الحديث عن بلاد الشام فحسب، بل توجيهات عامة تصلح في كل دار من ديار المسلمين، لتكون عوناً للعاملين فيها من أبناء أمتنا قادة وجنوداً، علماء ومفكرين ، مربين وموجهين، حتى نحقق وعد الله تعالى لنا في الأرض ونرثها كما ورثها عباد الله الصالحين من قبلنا.

{إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين}، والحمد لله رب العالمين.

التوجيهات الجذرية لانتصار ثورة أهل الديار الشامية

الحمد لله الذي بعث نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بالملة الحنيفية السمحة السهلة البيضاء، وجعل في كل سلف من أمته من يعلم الخلف أحكام الشريعة الغراء، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وقائدنا وإمامنا محمد الذي أرشد إلى المؤاخاة والمحبة، وحذر من البغضاء والشحناء وعلى آله وصحبه وتابعيهم الذين حافظوا على الأخوة والألفة حتى حين اختلافهم في الأفكار والآراء.

أما بعد:

فإن الأمة الإسلامية أحوج ما تكون إلى التوحد والاتفاق في هذه الأزمنة العصيبة، التي تتابع فيها على المسلمين هجوم الأعداء من كل جانب، استغلالا منهم تفرق أبناء الإسلام، وتشتتهم وضعفهم، والتي ابتلي فيها المسلمون بحملات الكفر والزندقة والإلحاد، حتى كادت أن تستأصل شأفتهم في كثير من البلدان.

وعلى المسلم العاقل أن ينظر إلى أعداء الإسلام على اختلاف مللهم ونحلهم ومذاهبهم: قد اجتمعوا على محاربة الإسلام في مختلف البلدان، ولم تفرق بينهم مسافات الخلافات الداخلية أو الخارجية في أن يتفقوا على حربه وتدميره ، وتحويل أهله عنه ، بكل وسيلة لديهم ظاهرة أو خفية.

والوسائل الخفية عندهم لضرب الإسلام أكثر وأقوى من الوسائل الظاهرة، فهم قد تآلفوا على الباطل، وتعاونوا على الإثم والعدوان، وتمزيق وحدة المسلمين وزرع الشقاق والخلاف بينهم، وبذر الخصومة والتقاتل فيهم، كل عدو حسب طريقته وقدرته، ووسائله وإمكاناته، لا نستثني منهم أحداً، فوالله ليس لنا في أولئك الأعداء من صديق ولا رفيق ولا مخلص ولا شفيق.........

فها أنتم ترونهم ورأيتموهم في مشاهد كثيرة، تمالئوا على عداء المسلمين، في كل بقاع الأرض، فلا تجدوا اليوم في أي مكان من الأرض إلا وفيه قتل واعتداء واغتصاب للمسلمين، فقد اتفقوا وتوافق أعداء الملة والدين من أنظمة وحكام وأحزاب عربية وعجمية، شرقية وغربية، على إنزال الشلل بالمسلمين عسكرياً واقتصادياً وثقافياً واجتماعياً وخلقياً وماليأً وتنموياً وأمنياً ونفسياً، وما دأبوا يحتكرون ويجتذبون أصحاب العقول المبدعة من بلاد المسلمين، ويسخرونهم لمصالحهم الشخصية ومشاريعهم الإجرامية.

اتفقوا وتوافقوا على كل هذا أن يوقعوه في صفوف المسلمين وبلادهم وأفكارهم وأخلاقهم ، وهم لا تجمعهم عقيدة صحيحة ولا أخوة إيمانية صادقة، ولا كتاب سماوي حق ولا رسول كريم يؤمنون به ويتبعونه بصدق، فوحد عداؤهم للإسلام بينهم!

ونحن معشر المسلمين تجمعنا العقيدة الواحدة الحقة، والكتاب الرباني الواحد العظيم، والرسالة النبوية الهادية الجامعة، ومع هذا كله ترى فينا من يقوم بتصديع الأمة وشق عصا المسلمين، وتغذية تفرقتهم وتمزيق جماعتهم، والتدليس على عوامهم، وتوسيع الخلاف والشقاق بينهم، وهو يظن بنفسه أنه ينصر دينا ويحمي يقينا، وينشر شريعة ويتبع سلفا صالحا، وهو في الحقيقة لهذه المعاني قاصم، ولهذه الروابط ممزق وحاسم !!

ولكن في التاريخ سنن إلهية وهي قوانين تحكم الأحداث والظواهر وتوجهها الوجهة التي يقتضيها منطق القانون الإلهي.

والذين يتقنون (فقه) هذه القوانين وتطبيقها هم الذين يستمرون في الحياة ويترقون في ميادينها.

وهذا يعني أن الأمة التي يتولى أمورها(فقهاء) يفقهون قوانين بناء المجتمعات وانهيارها، ويحسنون تطبيق هذه القوانين فإنهم يقودون أممهم إلى التقدم والنصر لا محالة.

وأما الأمة التي يتولى زمام أمورها (خطباء) يحسنون التلاعب بالمشاعر والعواطف فإنها تظل تتلهى ب(الأماني) التي يحركها هؤلاء الخطباء، حتى إذا جابهت التحديات لم (يفقهوا) ما يصنعون وآل أمرهم إلى الفشل وأحلوا قومهم دار البوار، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (إنكم في زمان علماؤه كثير، خطباؤه قليل، من ترك فيه عشر ما يعلم هوى، أو قال : هلك ، وسيأتي على الناس زمان يقل علماؤه ويكثر خطباؤه، ومن تمسك فيه بعشر ما يعلم نجا) .

ولقد رأينا كيف تغلب "فقه" رسول الله صلى الله عليه وسلم على "خطابة" أبي جهل وانتهى كل منهما بجماعته إلى المصير الذي يعرفه التاريخ.

فقد هيأ صلى الله عليه وسلم أتباعه لخوض معركة بدر قبل حدوثها باثنتي عشر سنة، حيث أوجد لهم مثلًا أعلى يضحون من أجله، ثم أقام لهم مجتمعا على روابط الإيمان والهجرة، والإيواء والنصرة، والولاء والبراء، وأحسن تعبئة مقدراتهم وإن قلت.

أما أبو جهل فقد كان يقود مجتمعا لا مثل أعلى له إلا مفاخرة العصبية القبلية وثقافتها في الإثم والعدوان ولا (فقه) لتقدير الموقف واستعمال المقدرات إلا نظم القصائد وضرب الطبول، ولذلك لم يكن أمامه حين سمع النذير إلا إلقاء خطبته الحماسية التي قال فيها : (والله لا نرجع حتى نرد بدرا، فنشرب الخمر، وتغنينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرتنا فلا يزالون يهابوننا أبدا !!) .

فانتصر الفقه النبوي، وانهزمت خطب أبي جهل في هذه الواقعة، ونتائج هذا الفقه وهذا الجهل لا تقتصر على أمة دون أخرى أو زمن دون زمن، وإنما هي نتائج تفرزها مقدمات جهود من يحسن فقه بناء الأمم والانتفاع بالمقدرات ففي عام (١٩٦٧) طبقت الحكومة اليهودية جانبا يسيرا جدا من استراتيجة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث حاولت أن توجد لشعبها مثلا أعلى يضحون من أجله، ثم وحدت صفوفهم وأحسنت إعدادهم والانتفاع بمقدراتهم، وحيث خرجت بهم أحسنت الانتفاع من جغرافية المعركة وقوانين التعبئة، وفي المقابل طبق العرب ارتجالية أبي جهل فحرموا أمتهم من المثل الأعلى وتركوها بلا روابط عدا روابط العصبيات القبلية والإقليمية والمصالح الشخصية.

وحينما انطلق صوت النذير استنفروا المغنين والمغنيات وألقوا خطبا نارية قالوا فيها : (والله لا نرجع حتى نهزم إسرائيل ومن وراء إسرائيل، وندخل تل أبيب وتغنينا أم كلثوم)، وجاءت نتيجة المعركة تماما كنتيجة (معركة بدر) بالنسبة للانتصار الإسرائيلي والهزيمة العربية، ونسي العرب الوحي الإلهي الذي نزل بعد معركة بدر محذرا المسلمين من منهج المشركين في الزحف.

قال الله تعالى: {ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما تعملون محيط * وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب} [الأنفال :٤٧ –٤٨].

إنه يوجد هناك مجموعة من القوانين أو السنن الإلهية المهمة التي لا بد منها أن تمر الأمة عليها حتى تنجح، ومن أهمها ما يلي:

القانون الأول:

إن صحة المجتمعات ومرضها أساسها صحة الفكر أو مرضه، وهو ما يتضمنه قوله تعالى: {ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم} [الأنفال: ٥٣.]

القانون الثاني :

حين تفشل جميع محاولات الإصلاح وتتحول الجهود المبذولة إلى سلسلة من الإحباطات والانتكاسات المتلاحقة، فإن المطلوب هو القيام بمراجعة تربوية شاملة جريئة وصريحة وفاعلة، يكون من نتائجها إعادة النظر في كل الموروثات الثقافية التي تلي نصوص القرآن والحديث الصحيح، وإعادة النظر في كل العملية التربوية ابتداء من فلسفة التربية ومرورا بأهدافها ومناهجها وطرائقها ومؤسساتها وإدارتها والمربين العاملين فيها حتى الانتهاء إلى تطبيقاتها السياسية والاجتماعية والإدارية.

القانون الثالث :

مع أن الإسلام هو العلاج المؤدي إلى صحة المجتمعات وقيام الراقي من الحضارات، إلا أن الإسلام لا يؤدي هذا الدور الحضاري إلا إذا تولى (فقهه أولو الألباب النيرة، والإرادات العازمة النبيلة).

القانون الرابع :

مع أن الدين الإسلامي هو الدين الصحيح بين جميع الأديان، وأنه هو منهاج الحياة الراشدة الهانئة في الدنيا والآخرة إلا أنه لا يقود إلى هذا النوع من الحياة إلا إذا أحكمت خطوات عرضه وتطبيقه حسب نظام خاص ومنهجية معينة.

القانون الخامس :

تتحقق قوة المجتمعات من خلال نضج وتكامل عناصر القوة كلها في دائرة فاعلة وتناسق صحيح. وهذه العناصر هي : المعرفة والثروة والقدرة القتالية .

القانون السادس :

ما لم يتزاوج الإخلاص مع الإستراتيجية الصائبة في تعبئة الموارد والقوى البشرية في الأمة، فإن جميع الجهود والطاقات سوف تذهب هدرا على مذابح الصراعات الداخلية، وتؤول إلى الفشل والإفلاس.

القانون السابع :

إذا لم يقم الإصلاح على التدرج والتخصص وتوزيع الأدوار فسوف ينتهي إلى الفشل والإحباط المدمر.

القانون الثامن :

إذا لم تترجم أفكار الإصلاح والوحدة إلى أعمال وتطبيقات صائبة فسوف تعمل هذه الأفكار على زيادة ضعف المجتمع وتعميق التخريب فيه بتسارع كتسارع الانشطارات النووية التي لا تتوقف عند حد.

القانون التاسع :

لا تكون آثار الإصلاح والتجديد فاعلة مؤثرة إلا إذا جسدها في واقع الحياة الجارية مؤسسات أصيلة الغايات صائبة الوسائل والممارسات.

والتوجيهات القرآنية التي تحدد أطره المؤسسات المنشودة تشتمل على خمسة أنواع من المؤسسات :

الأولى : مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

الثانية : مؤسسات التربية السياسية.

الثالثة : مؤسسات التربية والتعليم.

الرابعة : مؤسسات الإدارة والأمن.

الخامسة : مؤسسات التربية العسكرية.

أولا : مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

وتشمل الأسرة والعشيرة والقبيلة ، وأما تفاصيل المؤسسات فيه كالآتي :

١ـ الأسرة :

ومعناها في اللغة الدرع الحصينة، وأسرة الرجل عشيرته وأهل بيته، ونلاحظ أن القرآن الكريم قد أطلق على كل من عضوي البيت اسم الزوج ولم يسم زوجة، ولكنه لم يطلق اسم الزوج على أي من الرجل أو المرأة إذ لم يكن بينهما علاقة تزاوج أي تماثل وتكامل في الفكر والإدارة والممارسة.

فقال تعالى : { امرأت فرعون } ولم يقل زوج فرعون لأنها كانت مؤمنة استجابت لرسالة موسى عليه السلام وفرعون كان كافرا عاصيا.

ومن نفس المنطلق خاطب سبحانه وتعالى الرسول صلى الله عليه وسلم بأمثال قوله تعالى : { قل لأزواجك } و { تبتغي مرضات أزواجك } ، لأنهن ارتقين إلى مستوى المسئولية التي يقتضيها الزواج من الرسول صلى الله عليه وسلم وحمل الرسالة معه ثم من بعده.

ولقد جسدت المرأة الصحابية في عصر الرسالة النموذج القرآني خير تجسيد، فكانت قوية تمام القوة في حمل الرسالة، (فاضلة) تمام الفضل في حمل مسؤولياتها الأسرية، وكانت سباقة في إسلامها وفي جهادها.

فأول مسلم كان امرأة هي خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

وأول شهيد في الإسلام كان امرأة هي سمية بنت خياط (أم عمار بن ياسر).

وأول عالم في مدرسة النبوة كان امرأة هي عائشة رضي الله عنها.

وأول منظم لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم كان امرأة هي أسماء بنت أبي بكر.

وأول أمين على نسخة القرآن الكريم كان امرأة هي حفصة بنت عمر التي حفظت نسخة القرآن حتى زمن عثمان حيث دفعتها إليه لينسخ نسخا للأمصار.

وحيث ندقق النظر في الميزة التي ميزت المرأة في نموذج الأسرة القرآني نجد أنها تتلخص في أنها (قوية – فاضلة)، والقوية هي التي تلجم قواها بلجام العقل، والفاضلة هي التي تلجم غضبها وانفعالاتها وشهواتها بلجام الفضائل التي يدعو إليها الشرع.

ولا تقتصر هذه الميزة على المرأة القرآنية وإنما تنسحب على نموذج الرجل القرآني وهو ما عبرت عنه ابنة الرجل الصالح وهي تصف موسى عليه السلام بقولها : قال تعالى : {يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين} [القصص:٢٦.]

لذلك تحتاج حركات الإصلاح أن تعيد النظر في استراتيجيتها المتعلقة بنماذج الأسرة القائمة في الأقطار العربية والإسلامية، وأن تخطط لإخراج نموذج إنساني جديد من قبل مؤسسات تربوية جديدة تؤهل الرجل والمرأة ليكونا زوجين متماثلين في مستوى المسئولية، وتلبية الحاجات ومواجهة التحديات.

٢. مؤسسة العشيرة :

إن السنة الإلهية في الحياة الاجتماعية، تتكامل الأسر والعشائر والقبائل والشعوب .

لتكوين الأمة وحمل رسالتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

قال الله تعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير} [الحجرات: ١٣] في حين تسترشد العشيرة بالتوجيهات الإسلامية التي يسود فيها التراحم والتواصل وتلبي حاجة الإنسان بالأمن والحب والانتماء ، وبسبب هذا العطاء العشائري أعطى الله سبحانه الرباط العشائري الأفضلية في الولاية والرعاية فقال تعالى : {وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين} [الأحزاب: ٦]، وبسبب هذا الرباط العشائري أمر الله سبحانه رسوله أن يبدأ دعوته بعشيرته فقال : {وأنذر عشيرتك الأقربين} [الشعراء: ٢١٤]، ولكن حين تستعصي العشيرة على التوجيهات الربانية، وترتكس في حمأة العصبية ، وتنقاد الأهواء الإبائية فقد جاء التحذير شديدا والوعيد مرعبا في آثارها في الدنيا والآخرة ، قال تعالى: {قل إن كان أباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين} [التوبة:٢٤]، وقال تعالى: {لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الأخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم} [المجادلة٢٢].

٣- مؤسسة القبيلة:

لقد تجسدت تطبيقات هذه القبيلة المتراحمة في تنظيم الجيوش الإسلامية في صدر الإسلام حيث كانت تتكون من القبائل العربية ، وتجسدت أيضا في تخطيط المدن والقرى الإسلامية وفي تقسيم الأراضي الزراعية إلى أقسام رئيسية تمتلكها القبائل ثم توزع إلى قطع متجاورات تمتلكها أسر القبيلة ثم يتعاونون في زراعتها وحصادها، ويتبادلون ثمارها ومحاصيلها ثم لا يكون في قبيلتهم جائع ولا محروم .

(ولكن جميع هذه المزايا العشائرية القبلية التي استعرضناها لم تكن لتتحقق لولا استرشاد أعضاء القبائل بتوجيهات القرآن الكريم والسنة الشريعة، واستلهام مبادئ التعاون على البر والتقوى.

وكانوا على وعي كامل بالفرق بين (القبيلة المتراحمة المتعاونة).

وبين (العصبيات القبلية والعشائرية العدوانية الآثمة).

وهو ما يشير إليه الحديث النبوي بوضوح تام: فقد سئل صلى الله عليه وسلم : أمن العصبية أن يحب الرجل قومه؟ قال: (لا ولكن العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم) ابن ماجة، ويقدم تاريخ القبائل العربية والإسلامية الشواهد الوفيرة أنها حيث انقطعت من توجيهات القرآن والسنة، فإنها انقلبت إلى عصبيات قبلية تتعاون لإشاعة ثقافة الإثم والعدوان إلى الدرجة التي جعلت رسول الله صلى الله عليه وسلم تقزز منها ويقول : (دعوها فإنها منتنة) ويقول (من قاتل تحت راية عمية يدعو إلى عصبية أو يغضب لعصبية فقتلته جاهلية) [ابن ماجة السنن].

إن أسوأ المضاعفات المرضية للعصبية القبلية والعشائرية، هي الصنمية: وهي مرض نفسي اجتماعي عقدي يصيب الأفراد والجماعات فيدمر إنسانية الإنسان ويقتل إرادته، ويطفئ فاعليته، ويحيله إلى مخلوق يعبد ما صنعت يداه، وتتقاذفه رياح التغيير دون أن يكون له أثر في صنع حاضره أو تقرير مستقبله.

والأساس الذي تقوم عليه الصنمية يتكون من ثلاث قواعد هي :

أ- دع الأقوياء للضعفاء أي اغتصاب حرياتهم ومهرهم والتسلط عليهم.

ب – سلبهم ممتلكاتهم والاستئثار بموارد العيش والثروة دونهم.

ج – تشكيل عقول الأكثرية وقيمها وتقاليدها وعاداتها ليصبح الداع المشار إليه جزءاً من معتقاداتها.

وبذلك تكون الصنمية هي تخلي الأفراد والجماعات عن حرياتهم في التفكير والتعبير والاختيار، وعن ممتلكاتهم التي رزقهم الله إياها من أجل مخلوق آخر ثم التوسل إليه ليرد بعضا منها إليهم!!.

والقرآن الكريم يسمي الأقوياء الذين يغتصبون الحريات والممتلكات بأسماء عديدة أو ضمها وأخطرها اسم الأنداد، أي أنداد لله تعالى.

قال الله تعالى: {فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون} [البقرة ٢٢]

ولقد فسر عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما (الأنداد).

(بأنهم الرؤساء يطيعهم الأتباع في معصية الله).

ولا ينحصر مرض الصنمية في ظاهرة تاريخية معينة ولا يتحدد بزمان أو مكان ، ولا يقتصر على العصبيات القبلية، وإنما العصبيات كافة ،ومنها على سبيل المثال: (أسرية، عشائرية ، قبلية، شعوبية، عرقية، لون، طائفية، حزبية، دينية، مذهبية، قومية، مهنية،) وهذه العصبيات هي المحاضن الرئيسية التي تهيئ للصنمية أن تولد وتترعرع ولرموزها أن تستعبد عقول الناس وضمائرهم، وتصادر حرياتهم، وتفرز مضاعفاتها في حياتهم.

ثانيا: مؤسسات التربية السياسية.

أ ـ الشعب:

وهو أول مؤسسات التنشئة السياسية، ولقد وردت الإشارة إليه عند قوله تعالى: { وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم} [الحجرات ١٣].

في هذا الشعب يدلق الشاب إلى شبكة علاقات أوسع من دوائر القبلية والعشيرة، ويتعداها إلى تعارف وتمايز أكثر اتساعا وأكثر تعقيداً.

والتمايز في دائرة الشعب تتجسد في تطبيقات معقدة متشابكة مثل: عراقة السلالات والحضارات، ولون العرق، وثقافته الإقليمية، ولغته القومية، وعاداته وتقاليده، وتضاريسه الطبيعية، وذوقه العمراني، وإنتاجه الأدبي والفني ومهاراته في البناء والإنتاج، وإسهاماته الحضارية.

والتوجيهات القرآنية تقدم مظاهر التمايز هذه باعتبارها بعض آيات الله سبحانه الدالة على قدرته وعظمته، والمفضية إلى طاعته، وذلك عند أمثال قوله تعالى: {ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للظالمين * ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون} [الروم ٢٢-٢٣].

وهذا التمايز بين الشعوب نعمة من نعم الله المفضية إلى عمق تعارف الشعوب وتنافسها في الخير والتقدم الحضاري شريطة أن يفقه الناس آيات الله فيه، التي تروي جميع مظاهر التنوع والتمايز من الينابيع التي تقرر أن المؤمنين إخوة ، والتي تفضي إلى مزيد من التعارف والتعاون.

أما إذا انقطعت هذه الشعوب من منابع الأخوة الإيمانية فإنها تنقلب إلى عصبية شعوبية وبدل أن تتعاون الشعوب على البر والتقوى، فإنها تتعاون على الإثم والعدوان. وهذا هو ما اقترفته شعوب الأمة الإسلامية حيث ضعفت نظم التربية الإيمانية فيها، وانبرت عن أصولها الإسلامية، وانتهى بها الأمر إلى الفتن والتمزق، والتحالف مع الأعداء ضد بعضها البعض في القضايا الإقليمية والمحافل الدولية.

ب – القومية أو القوم:

وثاني مؤسسات التربية السياسية هي القوم وهو مصطلح يتكرر وتتكرر مشتقاته في (٣٨٥) موضع في القرآن الكريم. وما ذكر رسول من الرسل إلا واقترن الخطاب القرآني بإحدى صيغ القوم الذين أرسل إليهم، من ذلك قوله تعالى: {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم} [إبراهيم: ٤٠].

وقوله : {لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله} [الأعراف: ٥٩]

وقوله : {وتلك حجتنا آتينها إبراهيم على قومه} [الأنعام: ٨٣]

وقوله : {وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم} [إبراهيم: ٦]

وقوله : {وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله} [الأعراف: ٦٥]

وقوله : {وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله} [الأعراف: ٧٣]

وقوله : {وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون} [الزخرف: ٤٤]

وهذا ما فقهه جيل الصحابة رضوان الله عليهم وطبقوه في الأقطار المفتوحة.

ومن هذه السنة انبثقت استراتيجية الفتوحات الإسلامية مراعاة لخصائص الإقدام واختلاف طبائعهم وتنوع بيئاتهم وأحوالهم وكل بلد دخلته هذه الفتوحات كانت هذه الاستراتيجية تمر بالمراحل الأربع الآتية:

أولا:

مرحلة دعوة الحكام والقادة (الأقوام والشعوب) لاعتناق الإسلام وتحرير شعوبهم من الجاهليات:

ولقد بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المرحلة بعد أن ثبت دعائم دولته في جزيرة العرب ، فأخذ في السنة السادسة للهجرة في "إرسال رسل إلى أمراء النواحي وملوك الدول المعاصرة يعرض عليهم دعوة الإسلام و أن يسمحوا للمسلمين بحرية الدعوة، ولقد سار الخلفاء الراشدون بعده على هذه السنة ، وشروطهم الثلاثة التي اشتهرت في التاريخ معروفة وهي اعتناق الإسلام ، أو دفع الجزية أو القتال.

ثانيا:

مرحلة الجهاد لإزالة الحواجز التي وقفت في طريق الدعوة الإسلامية:

وهي مرحلة لازمة في حالة عدم فاعلية المرحلة الأولى، ولذلك كان لا بد من التصدي لمن يقف حاجزا في سبيل الدعوة، وينتصب حاميا للشرك والفساد والظلم والاستبداد، ومن هذا المنطلق خرجت جيوش الفتح الإسلامي للقيام بهذه المهمة الجلية.

ثالثا:

مرحلة تزكية حياة الشعوب من الجاهليات وإعدادها إعداداً إسلامياً:

كانت جيوش الفتح الإسلامي تتألف من قسمين:

١ – فرق الجهاد العسكري وعملها القضاء على الأنظمة الحاكمة المتسلطة الكافرة.

٢ – وبعوث ثقافية عملها تزكية العقائد والقيم والأخلاق والعادات والتقاليد وتوجيه الطاقات الفكرية والإنتاجية وجهتها الصحيحة.

رابعا:

مرحلة نضوج الشعوب وإسهامها في حمل رسالة الإسلام وتحرير الشعوب التي تليها من الجاهليات:

حرصت الإستراتيجية الإسلامية على امتصاص العناصر الحيوية من كل شعب وقومية بعد أن يكتمل إعدادها إعدادا إسلاميا كما مر في المرحلة السابقة، كما حرصت على توزيع الأدوار بين الشعوب والأقوام المسلمة.

إن وقوفنا على طبيعة هذه الإستراتيجية للفتح الإسلامي يجعلنا قادرين على تفسير عدة أمور تتعلق بالتاريخ الإسلامي الذي مرت وقائعه في الماضي، ويساعد على تصويب مسيرة المجتمعات الإسلامية، وهذه الأمور هي:

١– لماذا انفرد العرب المسلمون بقيادة الفتح الإسلامي والإدارة في الدولة زمن الخلفاء الراشدين والأمويين؟

الجواب: هو أن العرب المسلمين كانوا هم الناضجين في مجال الإعداد الإسلامي دون غيرهم.

٢- هو ارتباط المد الإسلامي بمدى توفر بيئة العدل والأخلاق الإسلامية وهيمنة الروح الإسلامية على الفاتحين.

ذلك أن مراحل الفتح وخاصة مرحلة العمل على إخراج الشعوب من الجاهليات تقتضي تجرد العناصر الفاتحة من رؤية الذات، والإخلاص للمبادئ الإسلامية، وإلا فقدت حركة الفتح الإسلامي مبرراتها ومزاياها التي تفردت بها وأصبح تقبل الشعوب الجديدة للعقيدة أمرا صعبا للغاية.

٣- إن المد الإسلامي ارتبط ارتباطا كبيرا بحيوية البعوث الثقافية وبقائها ناضجة محيطة بأهدافها ورسالتها، محتفظة بمكانتها حيث السلطان يدور في فلك القرآن ، فالعصور الإسلامية والبلاد التي شاهدت قيادات قرآنية ناضجة، محتفظة بمكانتها، رسخت فيها الصيغة الإسلامية وطبعت بطابع جديد في العقيدة والاجتماع والثقافة، وودعت ماضيها الجاهلي على غير رجعة.

٤- إن الأمة الإسلامية لم تستسلم لعوامل الضعف ومظاهر الركود والجمود، وما لم تكن لتنهار أمام الهجمات الصليبية أو الفارسية أو الشيوعية بسبب ما كان وما زال يتردد هي كيانها من حركات التجديد والإصلاح.

وقديما قال الخليفة عمر بن الخطاب : (إذا ذل العرب ذل الإسلام).

واعتقادي أن كلا من الإسلاميين والقوميين أنهم أساءوا الفهم لسببين اثنين هما:

أ – الجهل بالفرق بين القومية والعصبية القومية تماما كالجهل بين القبيلة والتعصب القبلي، فالقومية هي أن يحمل (القوم) الذين تبلغهم الرسالة (رسالة الإسلام) في التجديد والإصلاح، أما (العصبية القومية) فهي حمية عاطفية بشرية باعثها الأهواء والجهل.

ب – شيوع مناهج التفكير الجزئي بدل التفكير الشامل والتفكير التقليدي بدل الابتكار والتجديد، وغلبة الظن والهوى بدل التفكير العلمي بين الشعوب الإسلامية وأفرزت مضاعفاتها المدمرة فيها.

والخلاصة : إن أزمة الأمة الإسلامية الحديثة تتمحور حول ثلاث أمراض:

المرض الأول: انتشار العصبيات القبلية والطائفية في داخل كل شعب من شعوبها.

المرض الثاني: استفحال العصبيات القومية بين أقوامها.

المرض الثالث: استثمار الكيان الصهيوني والقوى الصليبية كهذه العصبيات لتحقيق مشاريع الهيمنة وبسط النفوذ وسلب الموارد، وتدمير الطاقات والمؤهلات.

وعلاج هذه الأمراض يكمن في تطوير فقه سياسي إسلامي يقوم بوظيفتين:

الوظيفة الأولى: تزكية أسر وعشائر وقبائل كل شعب من الشعوب الإسلامية من أمراض العصبيات الأسرية والعشائرية والقبلية، وردها إلى مفهوم الأسرة والعشيرة والقبيلة المتراحمة المتعاونة.

الوظيفة الثانية: إعادة التكامل بين رسالة الإسلام ومفهوم القومية تكاملا يحقق التعايش والأخوة الإيمانية ويشيع التعاون بين مختلف الشعوب والقوميات الإسلامية، ويعبئ صفوفها لحمل الرسالة الإسلامية بقيادة مجلس الخلافة والخلفاء الذين يمثلون القوميات والشعوب الإسلامية.

ج – الأمة المسلمة: الأمة المسلمة هي ثالث مؤسسات التربية السياسية، ففي هذه المؤسسة يجري إعداد الشعوب والقوميات الإسلامية وتنظيم حياتها على روابط الأخوة الإيمانية وتنظيم إدارتها على أساس الإيمان، والهجرة، والجهاد وحمل الرسالة والإيواء

والنصرة والولاية.

- دائرة الثقافة العصبية العربية في تشويه مفهوم الأمة بعد العصر الراشدي:

من الإنصاف أن نقول إنه كما كان للبيئة المصرية أثرها في انطلاقة موسى عليه السلام فإنه كان للبيئة العربية أثرها في انطلاقة محمد صلى الله عليه وسلم وهو أثر به جانبان جانب إيجابي وآخر سلبي.

أما الجانب الإيجابي: فإن البيئة العربية سهلت نجاح الرسول صلى الله عليه وسلم في تربية الإنسان المسلم على تعشق المثل الأعلى والتضحية في سبيله.

وأما الجانب السلبي: فإن قيم العصبية ومحاور الولاء التي تفرزها لم تكن تصلح لحال الانتقال مع المسلم الجديد إلى المجتمع العالمي الجديد.

- ولذلك كان التحدي الأكبر الذي واجه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة في بناء أمة عالمية هو قيم العصبية القبلية، ولقد اتخذت جهودها لمجابهة هذا التحدي مظاهر عدة منها:

المظهر الأول: تزكية أعضاء الأمة المسلمة الجديدة من قيم العصبية القبلية.

المظهر الثاني: هو التحذير من الردة إلى قيم العصبية القبلية (وإدراج هذه الردة في قائمة الكبائر المخلدة في النار).

المظهر الثالث: التنبيه إلى دور قيم العصبية في فتن المستقبل وما ستجره على الأمة المسلمة من كوارث ومذابح ودمار.

- أهمية إخراج الأمة المسلمة:

الإطار العام الذي يحدد أهمية إخراج الأمة المسلمة ويحدد مكوناتها هو قوله تعالى:

{إن الذين أمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين ءاووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين أمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير*والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير* والذين أمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين ءاووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم* والذين أمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم} [الأنفال٧٢-٧٥].

هكذا يبدوا واضحا من الآية الأولى (رقم٧٢) أن التربية الإسلامية لا تتوقف عند إعداد الأفراد المؤمنين، وإنما تتخذ من هذا الإعداد وسيلة لهدف آخر هو إخراج أمة المؤمنين التي تندرج تحت أسماء : الهجرة، والجهاد، والإيواء، والنصرة، والتي تكون محصلتها النهائية هي الولاية.

ـ أما مظاهر هذه الأهمية فهي كما يلي :

الأهمية الأولى : هي ما تنبه إليه الآية الثانية آية ٧٣ من السورة، حول الأضرار التي تنجم عن عدم إخراج الأمة المسلمة.

وتتمثل هذه الأضرار في ضررين رئيسيين هما:

الضرر الأول : هيمنة قيم الكفر في الأرض وإخراج أمة الكفر، فإذا لم تقم أمة الإيمان فسوف تتولى أمة الكفر القيادة في الأرض.

الضرر الثاني : إن انتقال القيادة العالمية إلى أمة الكافرين سوف يؤدي إلى استغلال خزائن الله من المقدرات البشرية والمادية

استغلالا سيئا ثم يكون من نتائج هذا الاستغلال السيئ ملئ الأرض بالفتن والفساد الكبير : فتن في ميادين السياسة ، وفساد في ميادين الاجتماع وتشيع الصراعات والحروب الداخلية أو الإقليمية أو العالمية، وينتشر الفساد الكبير الذي يتمثل في الانهيارات الأخلاقية، وشيوع التحلل والفواحش، وانتشار الفلسفات والأفكار الهدامة وغير ذلك.

والأهمية الثانية لقيام أمة المؤمنين:

هي ما توجه إليه الآية الثالثة الآية ٧٤ من السورة حول الفوائد والمنافع التي تترتب على إخراج الأمة المسلمة وهي ثلاث فوائد:

الفائدة الأولى: تجسيد الإيمان في جنسية مميزة وهوية خاصة، وفي حضارة إسلامية لها ثقافاتها ونظمها الاجتماعية، وتطبيقاتها في ميادين السلوك والقيم والعادات والتقاليد الممتدة عبر الزمان والمكان.

الفائدة الثانية: هي الاستقرار الاجتماعي والاستقرار السياسي المشار إليهما بـ {لهم مغفرة ورزق كريم} والمغفرة هي تجنيب الأمة المسلمة عقوبات أخطاء الأمم.

الفائدة الثالثة: هي الازدهار الاقتصادي المصحوب بالتماسك الاجتماعي والعلاقات الكريمة بين طبقات الأمة وأفرادها، فالأمة المؤمنة رزقها رزق كريم يحفظ كرامات الأفراد رجالا ونساء فلا تضطرهم لقمة العيش إلى التفريط في كراماتهم وحرماتهم، ولا إلى تجارة الفواحش والمنكر.

الأهمية الثالثة لقيام أمة المؤمنين: هي ما توجه إليه الآية الرابعة أية ٧٥. من السورة من خلال الإشارة إلى أن الأمة المسلمة هي مجتمع مفتوح غير مغلق.

وسبب هذه الأهمية لإخراج الأمة المسلمة:

أدرك رجالات الأمة الإسلامية الأوائل أهمية إخراج الأمة المسلمة ومتطلبات العضوية فيها، من ذلك ما قاله عمر بن الخطاب حيث قرأ قوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال : (يا أيها الناس من سره أن يكون من تلكم الأمة فليؤد شرط الله فيها).

– الأهمية الرابعة لمفهوم الأمة: الذي تطرحه التربية الإسلامية هي أهمية كبرى بالنسبة إلى التربية الحديثة والعاملين في ميادين التطور التربوي في المجالين الإقليمي والدولي : والغفلة عن هذه الأهمية سوف تكون هدراً كبيراً لمصدر أساسي من مصادر التربية الدولية،ذلك أن مفهوم الأمة يلائم المرحلة الجديدة التي وقفت البشرية على أبوابها ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ثم أصبحت معالم هذه المرحلة واضحة جلية في زماننا، حيث انهارت مفاهيم القوم والشعب وأخذت الحدود بين المواطن تتهدم، والروابط الدموية تتمزق، وفي ظل هذه الظروف الجديدة يجد الإنسان نفسه بحاجة إلى أخوة جديدة، بل إخوة الأسر والقبائل والأقوام ، ووضع البشرية أمام نوعين من الروابط والقيم والمقاييس لا ثالث لهما: فإما العودة إلى علاقات الغابة وطور الكهوف.

وإما روابط الأمة الواحدة التي تعيش في قرية الكرة الأرضية الواحدة في ظل عقيدة واحدة وثقافة واحدة.

ثالثا : مؤسسات التربية والتعليم:

١– الكتاتيب أو دور القرآن:

وللوقوف على جلالة الدور الذي قامت به الكتاتيب القرآنية في العملية التربوية ننظر في أمرين :

الأمر الأول: نظريات التعليم التي توصل إليها علم النفس التربوي الحديث. وهي نظريات تؤكد أن السلوك المستقبلي للطفل يتشكل في السنوات الست الأولى في حياته. ففي هذه المرحلة تتكون الاتجاهات النفسية، وتتبلور الهوية ، والانتماء ، ومعايير الصواب والخطأ، والفضيلة والرذيلة، والحلال والحرام والتقوى ، والفجور والاستقامة والضلال.

الأمر الثاني : هو كيف ينظر خبراء العولمة الثقافية إلى دور القرآن المنتشرة في العالم الإسلامي ففي عام ١٩٨٠م قام البروفسور دانيال واجنر الأستاذ في الدراسات العليا بكلية التربية في جامعة بنسلفانيا في نفس العام بالسفر إلى العالم الإسلامي لمدة خمس شهور، وأجرى عدداً من البحوث عن دور القرآن وأثرها في الصحوة الإسلامية الجارية وفي هذه البحوث البحث الذي حمل عنوان – تعليم القرآن في العالم الإسلامي المعاصر–

– فيذكر أن التعليم في هذه الكتاتيب أكثر فاعلية، ولكن وقفت عائقاً أمام المدارس الحكومية وتسبب في فشل أهدافها، وبمثل هذه المدارس الإسلامية استطاع الإسلام أن يحافظ على وجوده عبر الأجيال في العالم الإسلامي كله في إفريقيا وآسيا.

وأن دور القرآن هذه هي المحاضن الأولى التي نشأ فيها القادة والعلماء والدعاة الذين قادوا الحركات الإسلامية ضد الغزو الأوربي والأمريكي ، وبالرغم من انتشار هذه المدارس في العالم الإسلامي كله، فإن خطورتها ما زالت لم تنل الاهتمام اللازم ، ويتابع واجنر عرض ما رآه باختصار في أقطار أخرى كاليمن والمغرب الإسلامي وإندونيسيا والسعودية ثم يعلق قائلا: لقد كان أول محطة لهذا البحث في إندونيسيا التي يقطنها ١٤٠ مليون مسلم ولكن قليلاً من الغربيين يخطر بباله أنها بلد إسلامي لأنهم لا يرون فيها إلا تاريخ البوذية السابق على الإسلام، وأخيرا يختم واجنر بحثه بالقول : (من اندونيسيا إلى المناخ الحار في السنغال ومروراً بالشرق الأوسط فإن جميع الأقطار التي مررت بها، وجدنا إسلاما عنيدا يعمل ليل نهار لصبغ المنطقة بالصبغة الإسلامية، وتهيئ السكان لمواجهة النفوذ الأمريكي والأوربي.

٢– المسجد:

يحتل المسجد المركز الأول في مؤسسات التربية والتعليم، واستمر كمؤسسة رئيسية في تشكيل اتجاهات الجماهير المسلمة وولاءها ولذلك فإن الواجب يقتضي استعراض دوره بشيء من التفصيل والتأصيل.

قال تعالى: { والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون * لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين* أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين* لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا تقطع قلوبهم والله عليم حكيم } [التوبة ١٠٧–١٠٩]

ويستفاد من الآيات المذكورة أعلاه من المناسبة التي رافقت نزولها أمور هي:

الأمر الأول: إن الأصل في وظيفة المسجد الإسلامي الصحيح هي نفع الناس وهدايتهم من خلال تبيان مضامين رسالة الله إليهم وجمع كلمة المؤمنين على مبادئ الإيمان والهجرة والجهاد، والرسالة والإيواء، والنصرة والولاية ليخرج منهم الأمة المسلمة والأمر بالمعروف والناهية عن المنكر.

الأمر الثاني: إن الصفة المميزة لمسجد التقوى هي أن الذين يقيمون فيه ويشرفون عليه هم رجال يحبون أن يتطهروا، والطهارة المشار إليها في الآية هي طهارة شاملة تشمل الطهارة الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، والفنية والسياسية، والإدارية، والإعلامية، ومن كل ما يورث الضعف والتخلف والفساد.

الأمر الثالث: إن الإسلام الذي يبشر به مسجد التقوى، هو رسالة إنسانية إصلاحية، بينما الإسلام الذي يطرحه مسجد الضرار هو أيديولوجية سياسية مغرضة.

والفرق بين الرسالة والأيديولوجية كالفرق بين الزاوية صفر والزاوية ١٨٠ درجة، فالرسالة غاية يدور في فلك أفكارها كل من الأشخاص والأشياء. أما الأيديولوجية فهي استثمار فكري تستثمر فيها الأفكار لخدمة الأشخاص أو للحصول على الأشياء.

الأمر الرابع: هو أن المساجد التي تشيدها المنافسات العائلية والعصبيات المذهبية والحزبية والطائفية والقبلية والإقليمية والعرقية هي أيضا مساجد ضرار. لأنها تنحرف عن الغايات الصحيحة لمسجد التقوى ولا يكون من ثمارها إلا فريق أمة المؤمنين إلى محاور وعصبيات، متباغضة متناحرة.

الأمر الخامس: هو أن المساجد التي يبنيها الحكام الظلمة ويجعلون الوظيفة الرئيسية لها هي تسبيح الخطباء والوعاظ بمدحهم وتجميل سياستهم، وأرصاد لمخابراتهم وعيونهم، هي أيضا مساجد ضرار. لذلك قال القرطبي في تفسيره (قال العلماء: إن من كان إماماً لظالم لا يصلى وراءه إلا أن يظهر عذره أو يتوب).

٣- مؤسسات العلوم المهنية والطبيعية:

وغايتها هي التربية الإسلامية تحقيق هدفين اثنين: الأول : استخراج نعم الله من خزائن الأرض والفضاء.

والثاني: العلم بخلقه وقدرته المبدعة في إيجاد الأشياء فيزداد اليقين في آفاق الكون.

٤- سلبيات المدارس والجامعات الحديثة:

- ليس كل مدرسة أو جامعة زينت مبانيها وارتقت شهادات العاملين فيها هي مؤسسة تفرز (علما نافعاً، وقلوباً خاشعة) وإنما النافع هي المؤسسات التجديدية التي تركز عملها حول تجديد المعلومات وتنمية المهارات والاتجاهات عند الإنسان التي تخرجه وتؤوله للإسهام في مواجهة التحديات وتلبية الحاجات في ضوء متغيرات العصر وعلاقات الإنسان بالخالق والكون والإنسان والحياة والآخرة.

ولكن تاريخ التربية الحديثة يخبرنا أن مؤسساتها القائمة تنقسم إلى قسمين:

- مؤسسات التعليم الخاص التي تعد أبناء الطبقات العليا للقيادة والتملك.

ومؤسسات التعليم العام التي تعد أبناء الطبقات الدنيا للعمل والتبعية.

ولذلك تعمل الأولى على تنظيم مناهجها لتقدم للدارسين فيها المعارف والمهارات اللازمة للحكم والتملك.

بينما يتركز عمل الثانية على صب الإنسان الذي تخرجه في قوالب جامدة التفكير، ويكون من ثمارها إفراز ثقافة القطيع الذي يطيع نظم العمل وقوانينه، يُظلم فيصمت، ويُؤمر فيطيع ، ولا تتعدى همته حاجاته في الغداء والكساء والنكاح.

- ومن المؤسف ألا يستلهم المسلمون المعاصرون هذه التجربة التربوية الإصلاحية بعد أن عانوا وما زالوا يعانون من الآثار المدمرة

لمؤسسات العبث التربوي القائمة، بينما بلغت نسبة الذين أوقفوا إرسال أبنائهم وبناتهم إلى مدارس الدولة في الولايات المتحدة الأمريكية حوالي ٤٥% والنسبة في ارتفاع مستمر بعد أن رأت الأسر الأمريكية كيف تفترس المخدرات وجرائم القتل والفوضى الجنسية أبناءها وبناتها مدارس الدولة ومناهجها.

ثم أقاموا بدل التعليم الحكومي مجالس تربية خاصة ووضعوا مناهجهم الخاصة، وإشرافهم الخاص الذي يوجه أولياء الأمور إلى كيفية تعليم أبنائهم وبناتهم في بيوتهم، وتدرجوا فيها من المرحلة الابتدائية حتى الجامعة، وأطلقوا على هذا التنظيم اسم التربية البيئية.

رابعا – مؤسسات الإدارة والأمن:

الأساس الذي يقوم عليه عمل هذه المؤسسات في القرآن والسنة هو توفير بيئة (اليسر) التي تهيئ لتحويل أفكار (المثل الأعلى) التي تبلورها المؤسسات التي ذكرها تكون محصلتها إشاعة ثقافة (القسط) التي توفر للناس (الماعون) الذي يعينهم على أن يعيشوا دينهم ودنياهم في المعاملات والعبادات والعلاقات والممارسات والولاءات اليومية الجارية في ميادين الحياة المختلفة.

ومن الخطورة أن يتناقض عمل المؤسسات الإدارية والأمنية مع عمل مؤسسات التنشئة والتعليم والإرشاد.

لأن هذا يفرز بيئة (العسر) التي يستحيل فيها ممارسة أفكار الإصلاح وتعاليم الدين، الأجر الذي يفرز الصراع الاجتماعي المهلك والإحباط القاتل.

وهنا تبدو الحكمة من تخصيص (مقته) تعالى – أي شدة كراهيته – للذين يتحدثون عن أفكار الإصلاح ولا يوفرون لها بيئات التطبيق ولو كانوا مؤمنين: {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون} [الصف ٢-٣].

وحيث نتحرى واقع المؤسسات الإدارية والأمنية في الأقطار العربية والإسلامية نجد أن أبرز صفات هذا الواقع هو التناقض بين ممارسات هذه المؤسسات وبين الأفكار الإصلاحية، وأن البيئة العامة التي تفرزها مؤسسات الإدارة والأمن قد جرى تخطيطها طبقا لمصالح الشركات الرأسمالية العالمية، ولذلك جاءت مواصفات هذه البيئة كما يلي :

١– تشييد المدن الحديثة الكبرى لتكون مستودعات بشرية وأسواق تجارية توفر الاستهلاك الغزير لمنتجات الرأسمالية العالمية.

٢– تدمير الاقتصاد المحلي في الريف والبادية، وسلبهم أراضيهم والقضاء على مواردهم، ليعمل قسم منهم في مكاتب التسويق، وقسم في أعمال النقل، وقسم في قوات البوليس، وقسم يجري تخزينهم في معسكرات الجيش ، والهتاف بحياة الملوك والرؤساء، وإسكات صيحات المظلومين، وتأجير مهاراته القتالية، تحت شعار قوات الأمم المتحدة ، لإخماد حركات التمرد التي تهدد مصالح الرأسمالية.

٣– تنظيم التعليم المحلي ليقوم باقتلاع الناشئة في الريف والبادية في ميادين العمل وتركهم فريسة البطالة والتسكع في المدن.

٤– تنظيم مؤسسات الإعلام والثقافة لترفع شهية الاستهلاك، وتقدم برامج الترويج الساذج .

٥– تنظيم مؤسسات الإرشاد الديني لتقوم ب(تلطيف) التوتر لدى جماهير العامة للرضى بأقدارهم والقناعة بفقرهم .

لا تسـألني كيـف ألفيـت المدينـة — غـرهم زيـف كـوهم الـواهمين
حانـة اللهـو ودنيـا الضـائعين — اتخـذوا القـرش إلهـا للسـجود
لقطـاء للحضـارات الزنيمـة — غير أن القرش رب من سلالات اليهود
كلمـا قـاموا لـه عنـد الصـلاة — هتـك السـتر وداس الحرمـات

خامسا: مؤسسة التربية العسكرية:

وآخر المؤسسات الخمس وأخطرها هي مؤسسة التربية العسكرية وضرورة بنائها على أصالة من الغايات ومعاصرة في الأساليب.

أما تفاصيل هذا فهي كالآتي:

إن تنمية المهارات القتالية وبناء الأجساد التي تمارس هذه المهارات لا يمكن فصلها عن برامج إعداد العقل العسكري المؤمن، وتنمية الإدارة النبيلة العازمة.

فالفصول الثلاثة تتكامل لتشكل ما يمكن تسميته المدرسة العسكرية الإسلامية وهي مدرسة لها نظريتها المستقلة في تربية عقل العسكري المسلم، وإرادته ومهاراته الجسدية، ولقد اختفت هذه المدرسة من واقع التطبيق والممارسة وانسحبت إلى بطون الكتب التراثية منذ عهد المماليك ثم أجهز على بقاياها الاستعمار الغربي، وما لم يحدث التجديد في هذه المؤسسات، فإنها لا يمكن أن تؤتي أكلها في النصر والمنعة، وسوف تبقى الجيوش في الأقطار الإسلامية أداة للتآمر الاستعماري الذي يربيها في معاهد أوربا وأمريكا على الاستئثار على الصديق والنكوص أمام العدو، بخدمة أطماع الدول الكبرى تحت شعار الأمم المتحدة.

ولتحقيق الأصالة العسكرية المنشودة لابد من الوقوف على التوجيهات القرآنية للعلوم العسكرية ولا بد من استقصاء هذه الأصول القرآنية في السنة الشريفة، وفي زمن الراشدين من الخلفاء، ومن هذه الأصول ما يلي:

أولا – نبالة الغايات وصوابية الأهداف: فالمدرسة العسكرية المسلمة مؤسسة تربي عقل الجندي على أن الجهاد في سبيل الله معناه إقامة القسط بين الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة الفتن والفساد الكبير.

أما المدارس العسكرية الأخرى فغايتها تحقيق شهوات النفس في المال والجاه لدى الأفراد الأقوياء والطوائف والأمم التي ما زال تراثها ملوثا بالمقولة الإبليسية : (أنا خير منه).

ثانيا – تواضع المنتصر ورحمته: والمدرسة العسكرية المسلمة تربي جندها على التواضع عند النصر والاستغفار من خطرات النفوس في ادعاء هذا النصر، وعلى الرحمة عند الظهور على الأعداء، وفي ذلك قيمة وخلق إسلاميان يمنعان العسكرية الإسلامية من إرسال الضابط والجندي المسلم للتربية في معاهد المدرسة العسكرية الحديثة التي تلقن خريجيها حيث يظفرون بالأعداء وينتصرون عليهم أن يدخلوا ديارهم ليشربوا نخب النصر خمراً تتضارب كؤوس شاربيه وينتصبون طغاة تغنيهم القيان وتحيط بهم الراقصات وتصدح في آذانهم المعازف.

لقد نهى القرآن الكوكبة المؤمنة عن تقليد النصر القرشي، وأرسى قواعد الزحف عند أمثال قوله تعالى : {ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط* وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم

اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريئ منكم إني أرى ما ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب} [الأنفال ٤٧-٤٨].

- ونهى المسلمين ألا يتصاعد بهم البطر ويطلقوا شعارات التشفي وعبارات الفخر وأفعال الانتقام عند دخول ديار الأعداء منتصرين فاتحين، واستبدلهم بذلك استغفارا من رؤية حظوظ النفس وأن يحمدوا الله متجردين من حمد القادة والزعماء ونسبة النصر إليهم، قال تعالى: {إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا* فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا} [النصر].

- وهذا ما تأوله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدخل مكة حانياً رأسه حتى بلغت لحيته صرته، وعيناه تذرفان الدمع، مسبحا باسم الله مستغفراً، حتى إذا التقى بجموع قريش المهزومين الذليلة قال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء، لم يعتقل الخصوم ولا ارتكب المجازر البشرية، ولا هتك الحرمات .

- وهو كذلك ما استلهمه عمر بن الخطاب وهو يقدم إلى الشام، بعد فتحها ويرفض البروذون واللباس الجميل الذي قدمه له المسلمون الفاتحون، مجاراة لقيم السكان المقيمين ، ويكتفي بدراعته المرقعة، ويدخل القدس ماشياً وخادمه راكب.

- وهذا أيضا ما اقتدى به صلاح الدين وهو يسترجع القدس ممن خاضت ركب خيولهم في ساحات الأقصى بدماء المصلين والعلماء، وطلبة العلم، والعباد المجاورين.

ثالثا – تحذير الجندي المسلم من موالاة الذين سماهم القرآن الكريم الآلهة الأنداد:

والأنداد عند ابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب هم القادة والزعماء الذين أقاموا من أنفسهم أندادا لله، فأجبروا الجند والرعية على طاعتهم فيما يغضب الله، وأحلوا الحرام وحرموا الحلال.

رابعاً – تحرص العسكرية الإسلامية على أن تكون الطاعة للقائد أو الزعيم ما أطاع الله سبحانه وتعالى ، فإن عصيا الله فلا طاعة لهما على الجندي المسلم، وهذا يعني وضوح الهدف عند القائد والمقود.

خامساً – تحرص العسكرية الإسلامية على أن يكون ذكر الله هو صيحة الانطلاق للجهاد حيث يعلن النفير وتبدأ المواجهة مع العدو، ليستمد الجندي عزيمته من الله فتسمو أهدافه وترسخ مرابطته.

سادساً – تحرص الجندية الإسلامية على موالاة الإسلام والجهاد تحت لوائه، والحذر من الجهاد تحت أية راية سواه.

القانون العاشر:

في فترات الازدهار أو الانحطاط التي تمر بها الأمم تتساوى مستويات الأداء والإنجاز عند الأفراد والجماعات في ميادين الحياة المختلفة.

– وهذا يعني أن النجاح في فترات الازدهار وما يصاحبه من صفات الإخلاص والإتقان والأمانة والمسؤولية والتعاون والتواصل لا تقف عند الميادين السياسية العسكرية، وإنما تمتد إلى ميادين الثقافة والتدين والاجتماع والاقتصاد وغيرها.

وفي المقابل لا يقف الفشل في فترات الانحطاط وما يصاحبه من صفات العجز والكسل والتفريط والخيانة والتدابر والتقاطع

والشح عند الميادين السياسية والعسكرية، وإنما يمتد إلى ميادين الحياة كلها.

والناس في العادة يعزون النجاح أو الفشل على القيادات وحدها مع أن القيادات ليست إلى الصنابير أو الحنفيات التي تصب منها انجازات الأمة مجتمعة.

– والعامل الحاسم في تحديد مستوى الأداء والانجاز هو مدى رقي التربية أو تخلفها في أمور ثلاثة: الموقع الذي تحتله قيم الأمة على سلم المثل الأعلى ، والدائرة التي تمتد إليها ولاءات الأفراد والجماعات، ودرجة النضج الاجتماعي الذي تصل إليه الشخصيات.

القانون الحادي عشر:

تتحدد فاعلية دعوات الإصلاح والتجديد طبقا المنزلة كل من المقاصد (المقاصد الدنيوية والمقاصد الأخروية) في برامجها ومؤسساتها.

– ولشرح هذا القانون نقول: في سورة البقرة يقول الله تعالى : { فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وما له في الآخرة من خلاق () ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار() أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب} [البقرة ٢٠٠ –٢٠٢].

– والدروس التي تقدمها الآية إلى دعوات الإصلاح والتجديد تتجلى في الأمور الآتية :

١– إن دعوات الإصلاح والتجديد يجب أن تخصص كل الوقت في مناهجها و مسعاها بكل من (المقاصد الدنيوية والأخروية) لمعالجة شئون الدنيا والآخرة.

٢– إن درجة الإخلاص وما يتفرع عنها من فضائل كالإيثار والتجرد والتضحية والجهاد وتتقرر طبقا لمنزلة المقاصد الأخروية في منهاج الإصلاح والعكس بالعكس.

٣– هو الحاجة إلى تطوير نظام تربوي ثقافي تتشكل فيه مشاعر المسلم المعاصر وأفكاره وقيمه وأخلاقه وثقافته وآدابه وفنونه وسائر أعماله.

٤– إن النجاح في تجسيد هذه الصفات في المنهاج النبوي للتربية ميز جيل الصحابة عمن تلاه من الأجيال المسلمة، وهذا ما عبر عنه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود حين سئل : كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال : أنتم أكثر صلاة وصياماً منهم وهم كانوا خيراً منكم . فقيل: وكيف كان ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ فأجاب: كانوا أزهد في الدنيا.

– وعلى هذه السنة المحمدية سار شيوخ مدارس الإصلاح من أمثال عبد القادر الجيلاني حين أقاموا في مدارسهم يصنعون السياسيين والعسكريين من جيل نور الدين وصلاح الدين وأسد الدين، ويخرجون العباقرة المؤمنين بصمت وخفاء، لا شهرة ولا رياء، ثلة من العارفين الأولياء، يصدق عليه قول القائل: (علماء عارفون، متواضعون، كالأرض يلقي عليها الناس القاذورات وتنبت لهم الورود والرياحين)، لقد زهدوا في الدنيا ولم يروا لأنفسهم فضلاً على مخلوق وركزوا عملهم على صناعة الساسة والعسكريين الذين أعادوا للأمة مقدساتها وللحياة فضائلها.

وحين تفقه الحركات الإسلامية وحركات الإصلاح السياسي بالمحتوى الإسلامي فإن دعاتهم سوف يتمركزون في معاهد العلم وجامعاته ومدارسه، وسوف تكون وظيفتهم تربية أشخاص السياسيين والعسكريين الزاهدين، المتجردين ومتابعة سياساتهم ومنجزاتهم بالتقويم على المستويين المحلي والعالمي، وسوف يتحول مجرى التاريخ لينبع من بيت الله الحرام وتتفرع مساراته من مدارس الأقصى والصخرة والمشرفة لتهنأ بها الإنسانية في مختلف بقاع الأرض.

القانون الثاني عشر:

– لن يبرز السلوك القويم الذي يحقق التجديد والإصلاح إلا إذا تكاملت وتأصلت الحلقات الخمس المكونة للسلوك المذكور.

– ولشرح هذا القانون نقول : أن الهزائم التي حلت بالمسلمين أمام هجمات الصليبيين كانت بعض نتائج الانقسام والصراع المذهبي بين المذاهب الإسلامية والجماعات وخطورة هذا الانقسام أنه انقسام بين المؤسسات المختصة بتنمية حلقات السلوك الخمس :

أ – حلقة الخاطرة: أي نية السلوك، وهي لها منميات تتمثل في الخبرات التربوية التي تمر بها الناشئة في بيئة معينة.

ب – حلقة الفكرة: أي الصورة الذهنية للسلوك، وهي التي تولد في بيئة يشيع فيها فقه آيات الله وإنزالها على الواقع المعاصر وقضايا المنشأ والحياة والمصير، وتختلف عن الفكرة التي تولد في بيئة يشيع فيها التفكير الجزئي الذي يقتصر على قضايا الحياة الدنيا والخبرات المادية.

ج – حلقة الإرادة: أي الدافع المحرك للسلوك، وهي التي تولد في بيئة عامرة بذكر الله ومحبته وتنمية إرادات الجهاد والتضحية، وتختلف عن الإرادات التي تولد في بيئات تركز على ثقافة الإنتاج والاستهلاك.

د – حلقة التعبير: أي الصيغة الكلامية للسلوك، وهي التي تولد في بيئات تحسن الأداء اللغوي وتوصله، وتختلف عن الحلقات التي تنمو في بيئة يضطرب فيها الانتماء والهوية، وتشيع فيها الأخلاط اللغوية.

هـ – حلقة الممارسات العملية: أي تطبيق العمل للسلوك، وهي التي تولد في بيئات تحسن تأويل القول إلى عمل، وتختلف عن حلقات الأعمال التي تولد في بيئات تعيش على سحر الكلمات وثقافة النفاق.

– وهذا كله يجعلنا نقف على خطورة الأزمة السلوكية والعقم الإصلاحي والتمزق النفسي والاجتماعي الذي تعانيه حركات الإصلاح والتجديد في الأقطار العربية والإسلامية المعاصرة، وهي تستورد منميات السلوك ومؤسساته من ثقافات مختلفة وبيئات متباينة.

القانون الثالث عشر والأخير:

– هي استراتيجيات الإصلاح والتجديد ، يتناسب مقدار النجاح بقدر مراعاة قوانين الأمن الجغرافي:

ومعنى هذا أن كل وحدة من الوحدات الجغرافية الرئيسية في الكرة الأرضية تنقسم إلى أقسام تمارس قانون التخصص والتكامل، فهناك مناطق الاحتكاك مع الخارج وهي موانع تصدير الحضارة خلال فترات القوة، ومعابر تسلل الغزاة خلال فترات الضعف،

وهناك العمق الجغرافي وهو مركز التفاعل الاجتماعي بجميع أشكاله.

وعندما نطبق هذا القانون على العالم العربي والإسلامي، نجد أن المنطقة الحساسة في مناطق الثغور والرباط كانت دائما بلاد الشام، وحيث نزلت الرسالة الإسلامية جعلت البيت الحرام حاضرة الهداية والمسجد الأقصى ثغر الرباط واشترطت في الجماعة التي تقيم في هذا الثغر مواصفات إيمانية معينة، فإذا انحرفت هذه الجماعة التي تقيم في هذه المواصفات، بعث الله عليها عباداً له أولي بأس شديد، فجاسوا خلال الديار ، ودمروا أعراض الدنيا التي ألهتها عن رسالتها تدميراً.

والرسول صلى الله عليه وسلم وجه لذلك وقرر أحاديث عديدة أن بلاد الشام رباط المجاهدين وأن أهل الشام في جهاد دائم إلى قيام الساعة، وهذا التوجيه النبوي يمكن ربطه بتوجيه نبوي آخر هو قوله صلى الله عليه وسلم : (فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعد هذا الروم ذات القرون، كلما هلك قرن، خلفه قرن أهل صبر وأهله أهل لآخر الدهر، هم أصحابكم ما دام في العيش خير) [كنز العمال جزء ١٢ ص٣٠٣ حديث رقم ٣٥١٢٧] ، وفي حديث آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أشد الناس عليكم الروم، وإنما هلكتهم مع الساعة) - [مسند أحمد {تصنيف الساعاتي} جزء ٢٤ ص٥٦ رقم ١٥٨]، وفي حديث آخر رواه موسى بن علي عن أبيه قال: قال المستورد القرشي عند عمر بن العاص: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (تقوم الساعة والروم أكثر الناس. فقال له عمر: أبصر ما تقول؟!! قال: أقول سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لئن قلت ذلك إن فيهم لخصالا أربع: إنهم أحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إقامة بعيد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك. - [صحيح مسلم ج١٨ باب الفتن ص٢٢].

– والناظر في هذا التوجيه النبوي يلاحظ أمرين:

الأول: قوة الارتباط بين ما ذكرناه حول موقع بلاد الشام كرباط دائم للمجاهدين إلى يوم القيامة، وبين استمرار المواجهة مع الغرب الذين يسميهم الحديث (الروم) ، فالغرب هو التحدي الأكبر لدار الإسلام . وهو تحد عنيد مستمر كلما هلك جيل من الغرب خلفه جيل آخر ذوي صبر على متطلبات المواجهة وتكاليفها والأمثلة لهذا العناد والصبر الغربيين أمام المد الإسلامي كثيرة ومتنوعة تمثلت مظاهرها في الأندلس وصقلية وشرق أوربا، وفي الكرات والهجمات المتوالية على دار الإسلام عبر ثغور بلاد الشام ومصر والمغرب الإسلامي، وفي معابر البحر الأحمر والمحيط الهندي.

– أما الخطر الشرقي الذي كانت تمثله فارس فقد انهار بعد نطحة أو نطحتين: مواجهة في القادسية وأخرى في نهاوند ثم لا فارس بعد، وإنما تحولت إلى منعطف جديد استمر حتى أيامنا الحاضرة.

والشعوب التي تلي فارس في الصين ومنغوليا وغيرها لم تكن خطراً حقيقياً.

والهجمات التي قامت بها جماعات المغول على العالم الإسلامي إنما كانت هجمات بدائية، جذبتها روائح الخلافة الميتة والمجتمع الإسلامي الميت، فقاموا بدور دابة الأرض التي أكلت منسأة سليمان عليه السلام المتوفى وأسقطت جثته على الأرض.

- وثمة أمر آخر يشير إليه التوجيه النبوي ، وهو إيجابية النظر في تحدي الغرب رغم عناده واستمراره، فهم (أصحابكم ما دام في العيش خير) ولعل العيش المقصود هنا هو أسلوب الحياة في المجتمع الإسلامي، فما دام هذا المجتمع يلتزم منهج الله في العيش وفي توفير أسباب المنعة، فسوف يقدر الغربيون الخير في هذا المنهج، ويسعون لمصاحبة أهله.

– أما عندما ينتكس هذا المنهج في حياة المسلمين فسوف ينظر الغرب إليهم نظرة استخفاف ويعاملونهم بما يستحقون.

وهذا يعني أن حسم المواجهة مع الغرب يجب أن يقوم على ركني الخير في الإستراتيجية الإسلامية :

الركن الأول:

إعداد ما يستطاع من قوة ومن رباط الحاملات العسكرية حتى لا يستسهلوا مهاجمة دار الإسلام.

الركن الثاني :

هو حسن عرض الإسلام بالفكر والتطبيق، وهو ما يتفق مع مستوى التفكير الغربي الذي يتمتع بكثير من الخصائص الإيجابية في هذا الميدان.

ـ نخلص من ذلك أن بلاد الشام هي الحوض الذي تصب فيه روافد العالم العربي والإسلامي حضارياً واجتماعياً، وهي الرباط الذي تتجمع على ساحاته الطاقات المتدفقة من العالم الإسلامي كله وأنه ما لم يحافظ على منعة هذا الرباط وذلك بتوحيده وتقويته وإقامة الحياة الراشدة فيه، فسوف يكون الثغرة التي تنفذ منها الأخطار وسوف تذهب الروافد والطاقات التي ترد من العالم العربي والإسلامي هدراً، ثم ترتد إلى مصادرها شؤما ومآس، وسوف يصاب باعثوها بالإحباط، وتؤول جهودها إلى الانطواء على النفس والتقهقر إلى الوراء.

– وهذا القول يفسر لنا عدة تطبيقات تاريخية هي:

الأولى:

إن جيوش الفتح الإسلامي حيث خرجت من الجزيرة العربية، كانت بلاد الشام هي القاعدة التي استقرت فيها القيادة الإسلامية، ومن هذه القاعدة تسلمت الراية جيوش الفتح الإسلامي التي راحت تنطلق نحو الغرب والشرق والشمال والجنوب.

الثانية :

هو ما ذكرناه في فصول هذا البحث وهو أن بلاد الشام حين كانت مفككة مضطربة النظام قبيل الهجمات الصليبية وخلالها لم تفد جميع المحاولات في وقف الغزو من الخارج، وامتدت آثار هذا الضعف ونتائجه إلى عمق العالم الإسلامي عامة.

وهذا يعني أنه إذا كانت بلاد الشام هي (رباط) المدافعين وال(ثغر) الذي يتسلل منه الغزاة، فإن الهلال الأمني المكون من الشام ومصر وشمال إفريقيا وإضافة تركيا إن أمكن ـ هو (رباط المهاجمين الفاتحين)، أما ما وراء ذلك من العمق الجغرافي فهو مركز التفاعل الإسلامي، ومركز الإمداد، وروافد القوة.

– هذه نماذج للقوانين التاريخية التي يجب أن تفرزها مثل هذه الدراسة التاريخية، وتظل الحاجة الملحة قائمة إلى الإستراتيجية الصائبة التي تنتقي المئات والألوف من أولي الألباب أصحاب الكفاءات العليا، المتفوقون في دراستهم، ثم يجري إعدادهم وتربيتهم ليكونوا فريقين:

أ – فريق يتسلم القيادة الفكرية، ويتجمع في مراكز الدراسات والبحوث ليتفكروا في مشكلات العالم الإسلامي، ويبصر قوانين الله في بناء المجتمعات وهدمها.

ب – فريق يتسلم القيادة السياسية، ويحول هذه القوانين إلى سياسات وخطط وإستراتيجيات.

وبذلك تتكامل الطاقات والمؤسسات، ويظهر جيل صلاح الدين الجديد وتعود القدس بإذن الله تعالى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وكتبه الأخ أبو عقبة المهاجر.

الثلاثاء ٢٠ ذو القعدة ١٤٣٢هـ الموافق لـ١٨ تشرين الأول ٢٠١١م.

*** نظرات في كتاب "هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس".**

=========================

==============

مع تحيات إخوانكم في



مؤسسة المأسدة الإعلامية

(صوت شبكة شموخ الإسلام)